مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725

قبول الاخر في الدراسات الانثروبولوجية

Acceptance of the other in anthropological studies

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	أ.م.د شلال حميد سليمان	أ.م ايناس محمد عزيز	
الدرجة العلمية	استاذ	استاذ مساعد	
مخبر الانتماء	قسم علم الاجتماع/ كلية الاداب	قسم علم الاجتماع /كلية الاداب	
جامعة الانتماء	جامعة الموصل	جامعة الموصل	
البلد	العراق	العراق	
البريد الإلكتروني	emaf_1979@yahoo.com	mahmood_khleef@ntu.edu.iq	

الملخص باللغة العربية	
الملخص	الملخص شهد عصر الاكتشافات الجغرافية مرحلة مهمة لمعرفة الاخر حيث المجتمعات المجهولة وبناء تاريخ لتطورها وثقافاتها عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وقوانين شعوبها وافكارهم في اطار التجربة الميدانية وما يكتنفها من مصاعب وتحديات ، فعملية الرصد والمعايشة خلال الدراسة الحقلية واسلوب الملاحظة بالمشاركة أو ما يقدمه المخبر من معلومات يجهلها الانثروبولوجي او يفسر اسبابها له ، مكنت المهتمون بهذا المجال من استكشاف المعالم الثقافية لمختلف المجتمعات سواء لأغراض الدراسة او لكشف الاخر المجهول ومعرفة ثقافته وحياته الاجتماعية عامة، فكانت المعلومات التي نقلتها الرحلات والدراسات الانثروبولوجيا مصدر مهما لتحليل القيم الانسانية من حيث قبول الاخر والتي تجلت في التسامح والتعايش والانسجام والتعامل الاخلاقي معه ، والطرق الخاصة في التعبير عن الترحيب بالآخر او قبوله بينهم ، او رفضهم له بعده خطر ينبغي الحذر منه ورفض وجوده بينهم ، او اخضاعه لجملة من الطقوس المطهرة له والتي يمكن له بعدها البقاء داخل الجماعة.

الكلمات المفتاحية:	الكلمات المفتاحية قبول ، الاخر ، الانثروبولوجيا ، العرب ، الغرب

الملخص باللغة الأجنبية	
ABSTRACT:	**Abstract** The era of geographical discoveries witnessed an important stage to know the other, where the unknown societies and the construction of a history of their development, cultures, customs, traditions, beliefs, laws of their people and their ideas within the framework of field experience and the difficulties and challenges that surround it. Its reasons for him enabled those interested in this field to explore the cultural landmarks of various societies, whether for the purposes of study or to reveal the unknown other and to know his culture and social life in general. With him, and the special ways of expressing welcome or acceptance of the other among them, or their rejection of him and his promise, a danger that should be guarded against by rejecting his presence among them, or subjecting him to a set of rituals that purify him, after which he can remain within the group.
Key Words:	**Acceptance ، the other ، Anthropologist**

1. مقدمة:

ان التحول التاريخي الذي جعل من اكتشاف جغرافيات الشعوب ودراسة تاريخهم وثقافاتهم وتكيفهم مع البيئة المحيطة بهم وعلاقاتهم وتواصلهم مع الاخرين والاختلافات فيما بينهم مثلت اسهاما اساسيا وبداية للانفتاح عمل على ازلة الحواجز بين المجتمعات فكانت الرحلات التي قام بها الرحالة والمؤرخين كالمؤرخ هيرودتوس الملقب بأب التاريخ او الانثروبولوجيا ،وما تلاها من المدونات التي سجلها الرحالة المسلمين امثال ابو الحسن المسعودي ، والبيروني وابن بطوطة وغيرهم ، ليشهد عصر الاكتشافات الجغرافية مرحلة مهمة لمعرفة الاخر حيث المجتمعات المجهولة وبناء تاريخ لتطورها وثقافاتها عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وقوانين شعوبها وافكارهم في اطار التجربة الميدانية وما يكتنفها من مصاعب وتحديات ، فعملية الرصد والمعايشة من خلال الدراسة الحقلية واسلوب الملاحظة بالمشاركة أو ما يقدمه المخبر من معلومات يجهلها الانثروبولوجي او يفسر اسبابها له ، مكنت المهتمون بهذا المجال من استكشاف المعالم الثقافية لمختلف المجتمعات سواء لأغراض الدراسة او لكشف الاخر المجهول ومعرفة ثقافته وحياته الاجتماعية عامة .

ان دراسة العلاقة بالآخر والعلاقات الاجتماعية بين المجتمعات المنتمين لبيئات اجتماعية وثقافية وجغرافية مختلفة وطبيعة السمات المميزة لها ، وان كانت قائمة على سلام وتعايش او الخوف بوصفه حاملا للشر والمرض او السحر وغيرها من التصورات التي وصمتها المجتمعات للآخر الغريب المجهول ، وغيرها من الاسئلة التي حاول الأنثروبولوجيين البحث والاجابة عنها كانت من الاسباب التي دفعت الرعيل الاول من الأنثروبولوجيين لدراسة هذه المجتمعات والتي تختلف وتتناقض مع لغاتهم وثقافاتهم ،والتي سنحاول في بحثنا هذا التطرق الى قبول الاخر بالاطلاع والتقصي عن هذه الكتابات وما كشفته آرائهم من وصف لعادات وتقاليد المجتمعات التي خضعت لملاحظتهم او دراستهم ومضامينهم الاجتماعية لرؤية الاخر او الغريب .

2.الاطار النظري للبحث

المبحث الاول:

اولا: موضوع البحث

ساعدت الرحلات والدراسات على اكتشاف الشعوب في مناطق جغرافية متنوعة اسهمت بتقديم معلومات وافرة ودقيقة لفهم ومعرفة مجتمعات كانت مجهولة مسبقا من حيث ثقافاتها وطبائع اهلها ونظمهم الاجتماعية من خلال المشاركة والملاحظة المباشرة لمجمل نشاطاتهم اليومية خلال فترة زمنية محددة ، ونظرا لما تتمتع به هذه المدونات او الدراسات من محتوى مهم لوصف الثقافات الانسانية فقد قصدنا من موضوع بحثنا هذا تحديد العلاقات الاجتماعية بين سكان هذه المجتمعات وبين الاخر الغريب المجهول بالنسبة لديهم وما قامت عليه ثقافاتهم من قيم انسانية كالتعايش والانسجام حددت من خلالها قبول الاخر والتعامل الانساني معه وطرق التعبير عن الترحيب به بينهم ، او رفضهم له وعده خطر ينبغي الحذر منه وتجنب اختلاطه بهم ، او اخضاعه لجملة من الطقوس المطهرة له يتمكن عبرها من البقاء كزائر او فرد بينهم، انطلاقا من ذلك حدد البحث عدد من التساؤلات المهمة المرتبطة ببحثنا هذا واهمها:-

1-هل هناك قيم دينية او ثقافية عبرت عن شكل العلاقة بالآخر في المجتمعات البدائية ؟

2-ما هي أبرز الملامح والخصائص التي يمكن ان تشير الى رفض وجود الاخر او قبوله والمحددة في الكتابات الأنثروبولوجية ؟

ثانيا: أهداف البحث

تمثلت اهداف بحثنا هذا بالنقاط التالية:-

1-الكشف عن المساهمات التي قدمتها الرحلات في اكتشاف الآخر، والتعرف على طبيعة الاختلاف القيمي بين الجماعات والمجتمعات المبررة لرفض الاخر او قبوله .

2-الوقوف على العديد من الملامح الاجتماعية والانسانية المختلفة التي تعزز ثقافة التسامح والتعايش مع الآخر ، او المبررات القيمية بنظرهم لرفض الاخر.

ثالثا : أهمية البحث

تأتي اهمية بحثنا هذا انطلاقا من النظر الى ان حركة الاكتشافات الجغرافية وما سبقها من رحلات لهواة ومهتمين دفعتهم للمخاطرة كشفا للمجهول،وما تلاها من دراسات منهجية قدمها الانثروبولوجيون والمختصين في هذا المجال مثلت رافدا أنثروبولوجيا مهما من روافد المصادر ، والمراجع التاريخية

والاجتماعية المهمة ، والتي يمكن من خلالها الاطلاع على الدلالات والمضامين التي سادت العلاقات الاجتماعية بين الشعوب والمجتمعات وما نتج عنها من صور للتفاعل الانساني قامت على اساسه حلقات اقتصادية واجتماعية من جهة ، وصراعات وحروب ناتجة عن قبول للشراكة الانسانية مع الاخر او الرفض وعدم قبول الاعتراف بأهمية الشراكة الاجتماعية معه ، كما تأتي أهمية هذا البحث في اعتباره اسهاما في دراسة مدونات الرحالة التي اعتمدت على الملاحظة والمشاهدة العينية للجماعات الانسانية لقرون مضت والتي دونتها كتابات الرحالة وما تبعها من ملاحظات دقيقة قدمها الانثروبولوجيون كمهتمين ومختصين في دراسة الشعوب والقبائل ، وما اسهمت فيه من اثراء للمكتبات العربية والغربية وما تبعها من دراسات علمية بصور وانطلاقات مختلفة كشفت عن طبيعة الحياة الاجتماعية للمجتمعات الانسانية .

رابعا : مفاهيم البحث

1. قبول: هو الْمُوَافَقَةو الرِّضا بالشيءِ وميلُ النَّفْس إليه ، ويعرف القبول بانه حالة الرضا التي يحصل عليها الفرد من قبل اقرانه والتي يعبر عنها برغبتهم بالجلوس واللعب والعمل معه والتحدث اليه وزيارته والالتقاء به ، او هو درجة حب الشخص من قبل مجموعة الاقران ودعوتها له في نشاطاتها ، ويستدل على ذلك من خلال ثناء المجموعة على الانجازات التي يحققها والاصغاء الى الافكار التي يطرحها [1]، والقبول هو النظرة التي قدمتها عيون الشعوب المختلفة للآخر المجهول .
2. الاخر:- اسم يشير الى المغاير او الغير ،ويقال للأشخاص والاشياء المغايرة ،ويقابله الانا ،وكلما زاد الوعي زاد الاحساس بالانا وبالآخر [2]، والاخر هو نقيض الذات ويقال المختلف والغير [3] ، كما انه صفة لجنسين مختلفين من الاشخاص او الاشياء [4]، والاخر هنا يمكن تعريفه بأنه اي فرد خارج الجماعة الاجتماعية والذي يعرف بانه غريب ومجهول يمكن ان يكون خيرا او شر.
3. الانثروبولوجيا : الانثروبولوجية هو " العلم الذي يدرس البشر من حيث توزيع الاجناس البشرية واصولها وتصنيفها والعلاقات بينها وسماتها الفيزيقية والعلاقات البيئية والاجتماعية والثقافية" [5]،كما تعرف بانها علم وصفي للانسان مشتقة من كلمة اغريقية (anthropos) ومعناها انسان و(logos) اي لوغوس ومعناه خطاب او دراسة او بحث [6]، وتعرف الانثروبولوجيا بانها علم من العلوم الانسانية تهتم بدراسة الانسان من حيث قيمه (دينية اخلاقية اقتصادية ثقافية اجتماعية) ومكتسباته الثقافية بحث انساني كامل وشامل حول المكتسبات الثقافية والقيمية للانسان [7]،وعرفها بواس بانها العلم الذي يدرس الانسان ككائن اجتماعي.[8]

خامسا : منهجية البحث

تقوم الدراسات الانثروبولوجيا على الكشف عن المعارف السلوكية والجوانب الرمزية ذات الجذور الثقافية عند الاشخاص والتي يمكن ان تشكل اساسا لوضع مفهومات صحيحة علميا [9] حول اعتمدنا في بحثنا هذا على دراسة الاخر في المدونات والدراسات الانثروبولوجيا على المنهج الوصفي في جمع

الحقائق والبيانات من خلال تحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها بالعودة الى كتابات الرحالة والانثروبولوجييلتحليل وتفسير بعض قيم التسامح وقبول الاخر وصولا الى تعميمات بشأنها .[10]

1.2 المبحث الثاني :

اولا: قبول الآخر مفهوما وماهية

ان الطبيعة البشرية قائمة على التنوع والاختلاف ومجمل التعايش والتسامح يتمثل في قبول الاختلاف مع الاخر ،فالاصل في الاختلاف التنوع ان لا يشكل كلا الطرفين مصدرا للتهديد والقلق من جهة كما لا يعني الذوبان به من جهة اخرى ، بل في اهمية التوازن بين الواجبات والحقوق لكلا الطرفين وقبوله بما يتيح لهما تحقيق السلام الاجتماعي ، والاخر بصورة عامة قد يكون من الجنس الاخر او قد يكون القريب من ابناء العائلة او الجماعة او القبيلة ،أو المجتمع المحلي فالكبير ، وبصورة عامة لا تدل كلمة الاخرين على كل ما ليس أنا ، او ما أتميز به، بل هم من لا نميز ذواتنا عنهم ومن نتواجد معهم في عالم أشترك فيه مع اخرين عالم نتعايش فيه على بناء علاقات اجتماعية متبادلة .[11]

والقبول هو الوعي والادراك بان للآخرين حقًّا في أن يكونوا أشخاصا مختلفين عني ، ما يعني الاقرار او الاعتراف بأن لديهم الحق في أن تكون لهم حرية تسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بالطريقة التي يريدونها، ويكونون فيها مختلفين عنك، وهو قائم ايضا على قبول الرأي الاخر وعدم الاقصاء والتعايش والتواصل حواريا وتبادل المعارف والخبرات والتجارب ، واحترام التباين في الافكار والمعتقدات ، والحديث عن قبول الاخر يشير الى مطالب التسامح والتعايش والحوار مع الاخر والتواصل معه ، ويتطلب قبول تبادل الاحترام بقدار ما يتسم به الاخر من ثقافات ولغات مختلفة لا يجوز اقصائها وقمعها انما حفظ التناقض والتعايش معه كثقافة مجتمعية

ثانيا : الدراسات الأنثروبولوجية وعلاقتها بالآخر

عرفت الانثروبولوجيا بانها دراسة الانسان اجتماعيا وثقافيا فهي لا تدرس الانسان ككائن وحيد منعزل عن بقية ابناء جنسه ، انما بوصفه كائنا اجتماعيا يحيا في مجتمع داخل جماعة له ميزاته الخاصة المتباينة وفقا للمكان والزمان ، وتكمن اهداف هذه الدراسات في انها تمثل وصفا لمظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك من خلال المعايشة مع المجموعة أو الجماعة المدروسة وتوثيق طبائعهم اليومية ،يمكن خلالها للوصول إلى أنماط الحياة الإنسانية عامة لتحديد التراث الانساني وتغييراته عبر التاريخ يتيح عبرها استنتاج امكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية [12]، فمع ولادة الابحاث والدراسات لأعمال الرحالة والانثروبولوجيين الاوائل وتراثهم المعرفي لأفكار الشعوب ومعارفهم وثقافتهم وتاريخها كآخر غريب ينتمي تقاطعت معها الانثروبولوجيا الى إيديولوجيتين متنافستين ومتناقضتين اولهما تتمثل برفض الغريب من منطلق الفوقية والدونية من جهة والانبهار بالاجنبي والاعجاب به وهذا ما اوقع عدد من النظريات في بناء تعميمات غير دقيقة قدمت وصفا غير صحيح عن عدد من المجتمعات كوصف بعضها بالبدائية والبربرية والمتخلفة ماحدد شكل العلاقة على اساس النحن والاخرين (البرابرة)[13]، وقد قدمت اسهامات العلماء والمفكرين الاوائل امثال هنري مين ،وباخوفن ومروجان وتايلور وجيمس فريزر وليفي بريل ومالينوفسكي وفرانز بواس وغيرهم قدمت ادلة جوهرية مهمة في ميدان الثقافات والحياة الاجتماعية للجماعات اجتماعية دقيقة اعتمدت على المعايشة والمشاركة

للمجتمع موضوع الدراسة ، حاولت خلالها هذه الدراسات تحديد علاقتنا بالاخر كيف لنا ان نرتبط به ؟وهل هم يشبهوننا ؟ام انهم مختلفون عنا في الاساس .[14]

ولم تغب الثقافة عن الدراسات الأنثروبولوجية وعلاقتها بمجال الاخر فقد اكدت روث بندكت على ان كل ثقافة من الثقافات الانسانية هي ثقافة متكاملة لها مبادئها الخاصة المميزة لها ويجب علينا الاعتراف بالفوارق الثقافية فيما بينها وعدم فرض قيمنا واخلاقنا على كل الشعوب ، ويشير ليفي بريل الى ان من سوء الحظ ان الدراسات والبحوث الانثروبولوجيا التي قام بها المكتشفين والمبشرين والعلماء الطبيعيين الذين شهدوا المراحل الاولى للعلاقات بين الفريقين واحتكاك العقلية البدائية للجماعات المتأخرة واتصالها بالاوربيون البيض ، لم يهتموا بتدوين المعلومات لملاحظاتهم فقد تفاجئوا بالآخر حيث العالم المغلق لا يمكن لكائن ان يجتاز جوانبه عالم يتكلم لغات لا يعرفونها مرتاب منهم [15]، من جانب آخر يرى كلايدكلاكهون " ان دراسة البدائيين تساعدنا على تحسين فهمنا لانفسنا فنحن لا نكون عادة واعيين لتلك العدسة الشديدة الخصوصية التي نرى الحياة من خلالها" [16]من جهة اخرى فانها اسهمت في تقارب المسافات بين الثقافات والشعوب فالانسان يشبه الانسان الاخر مهما اختلفا كما انها وضعت شروطا لعلمائها ومختصيها يلتزم خلالها بالحيادية وتجنب التعصب والعرقية والمركزية عند دراسة الاخر المختلف ، لتؤكد الدراسات الانثربولوجية على ان التسميات المميزة للشعوب بين بدائية ومتحضرة تسميات غير علمية وتحط من قيمت هذه المجتمعات الانسانية [17]، كما انها اكدت ان تتبع نمو المجتمعات الانسانية وثقافتها كما نعرفه اليوم كتاريخ وثقتها كتابات المؤرخين امثال هيرودتس فقد حاول الموازنة بين المواقف خلال تتبعه لطبيعة الاخر واختلافه في كونه منحازا ومتعصبا للعرق " رجل متحضر" يحتقر كل اجنبي تارة ، والاعتراف بان الاخرين مختلفين لديهم قيم مختلفة تربطهم بظروفهم المختلفة وليس لانهم غير اكفاء اخلاقيا [18] وما لحقه من مهتمين ومستكشفين رسمت صورة لمختلف الاشكال الثقافية التي يمكن من خلالها ربط الوقائع والاحداث والعلاقات بعضها ببعض والمختلفة من اقليم لآخر ومن عصر لآخر ومن ثقافة لأخرى [19]،ما يمكننا من فهم الماضي بما يحمله من ثقافة وانظمة اجتماعية مختلفة تتيح لنا معاينة الفروقات والاختلافات بين الشعوب الاخر والنحن بمايسهم بتضييق الفجوة بينهما [20] ، وانطلاقا مما سبق يهتم هذا العلم بدراسة الانسان افراده ومجتمعاتهم ووسائل الاتصال فيما بينهم وكل ما ينتجونه سواء كان مادة ام علاقة اجتماعية ام فكرة [21]، والامر عند مالينوفسكي يمثل حصيلة لقاء الثقافة الغربية مع ثقافات اخرى ، هذا الاعجاب الذي تحول ايديولوجيا لدى البريطانيين من شعور بالاعجاب الى مشاعر للاحتقار بدافع الضروريات الاستعمارية وقبل ان تتحول التمايزات الى سياسة عرقية فكانت هذه العوامل شرطا حقيقيا لقيام الانثروبولوجيا [22].

ثالثا: الرحالة العرب وقبول الاخر

اسهمت الرحلات التي قام بها المستكشفين والرحالة العرب في اكتشاف ومعرفة الاخر لغته ثقافته وحياته اليومية بمضامينها المختلفة والدالة على الاختلافات البشرية عرقيا وثقافيا ، فكانوا اسبق من الغرب في دراسة ثقافات الامم والشعوب الاخرى ، سواء بدراسة خصائص ثقافة او حضارة معينة بذاتها ، او بمقارنتها مع ثقافة اخرى ،فكانت التراجم التي قدمها العلماء المسلمين خلال ترحالهم وتجوالهم في

انحاء مختلفة من الارض طلبا للعلم من ناحية ودراسة الاقاليم وعادات الامم وثقافاتها من ناحية اخرى [23].

قدم بذلك الرحالة العرب المسلمين امثال ابن جبير والمسعودي وابن بطوطة وصفا وتفسيرا حكيما لما يشاهدونه من قيم تربوية، واخلاقية تشكل نظاما لبناء الاسرة ، والمجتمع ،فالعلاقات الاجتماعية ، والانسانية في المجتمع الغريب عن المسلمين ينطلق من قيم يجدها معظم الرحالة قيما ايجابية وحلقات وصل تساعد المجتمع على التماسك والانسجام ، والتعايش ، والاستقرار، تنطلق فيها قيم الاحترام وتقبل الاخر تنبع من رؤية شمولية لقضية التعامل بمبادئ انسانية عادلة وسامية مثلا العدالة ، والعقل ، والفضيلة ، واكرام الضيف، واحترام الغريب ، وحماية الضعيف ... إلخ التي تحدد التعامل الاجتماعي وقضية التعايش على وفق منظور بعيدا عن العرق، أو الدين ، أو الجنس، أو اللون ، وأن أول مسألة يمكن أن تضفي انطباعا بالتعامل الاجتماعي مع الآخر واحترامه تتجلى في قضية التعامل مع الغريب أو المسافر فأبن بطوطة يثير مسألة مهمة في التعامل مع التاجر المسلم الذي يمثل الاخر الغريب بالنسبة للصيني بالحرص على حياته وماله بتقديم ضمانات فلا يخاف المسافر على امواله وان كان منفردا[24]،وفي المقابل فإن التنظيم الإداري والاجتماعي للتعامل مع الغريب ترجع في الأساس كما جاء على لسان الرحالة إلى أن هناك قيم اخلاقية سامية يؤمن بها الافراد تمثل البوصلة التي تحدد المنظور او المنطقة الحميمة التي يمكن ان تشكل مسافة اجتماعية مقبول بها تواجد الاخر وتحدد عبرها كيفية التعامل واللباقة الاجتماعية التي تشكل ضوابط اجتماعية تعترف بالآخر فكانت نتيجتها ان اتصفت انذاك هذه المجتمعات المختلفة بقبول الاخر الغريب [25]مشكلين عبر هذه الثقافة محطا تجاريا عبر التاريخ.

فيما قدمت استكشافات ابو سعيد الاصمعي (740-891 م) عايش خلالها الثقافات والمجتمعات متنكرا تارة ومعرفا عن نفسه تارة اخرى مسجلا خلالها ما عرف بنوادر الاصمعي بابحاث وكتابات عن الحياة الاجتماعية والطرائف اللغوية ليعد العمل الذي جمعه اول عمل انثروبولوجي ميداني في التاريخ العربي والغربي[26]، ولعل ابن خلدون واحدا من الرحالة العرب الذين اسهموا في مقدمتها بتقديم مادة انثروبولوجية ، فضلا عن الرحالة المقدسي ابو عبدالله المعروف بالبشاري الذي اهتم بدراسة النظم الاجتماعية والقرابية والايكولوجية المهتمة بعلاقة الانسان ببيئته في كتابه " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " وما جمعه من مادة انثروبولوجية تناولت ترحاله بين الامم والاقاليم والاختلاط بهم ومعاشرتهم وتدوين اجناسهم ولغاتهم والوانهم ،ليشكل عمله هذا في مجال معرفة الاخر وترتيبه للأمم حسب اختلافات اجناسها ولغاتهم عملا مهما واسهاما معرفيا واضحا [27] ، فضلا عن ما جمعه البيروني من مادة هامة حلل خلالها وقارن بين الانماط الثقافية المتعددة في المجتمع الهندي ،لذا لايمكن الابتعاد او تجاهل المدونات التي قدمتها الرحلات العربية او الاسلامية التي بمجملها مثلت رحلات وصفية لمجتمعات مختلفة ومغايرة ميزت شعوب عن اخرى سواء على اساس اجناسهم او لغاتهم او ثقافاتهم.

ومع تزايد الاهتمام بهذا الحقل العلمي تعددت الانطلاقات والاهتمامات التي سارت عليها الدراسات الانثروبولوجية وتباينت معها الخلفيات الاجتماعية والثقافية لمختصيها من العرب والغربيين وغيرهم ،ورغم ذلك فقد قدمعدد من الباحثين والمختصين العرب انتقادات عدة الى الانثروبولوجيا كعلم غربي

كونها حملت تفسيرات منظريها افكارا تتعارض مع افكر الديني اسلامي كنظرية التطور الداروينية ، كما انها قدمت للمستعمر معلومات اجتماعية وثقافية واقتصادية اسهمت بالسيطرة والتحكم بالمجتمعات التي خضعت للدراسات الانثروبولوجية ، اي انها مثلت بحثا قائما على نظرة الغرب الخاصة الى الانسان والمخالفة لثقافتنا من جهة ومن نظرة الغربيين الى الاخر المختلف عنهم من جهة اخرى [28]، وهي اشارة الى محاولة قراءة رؤية الاخر الغربي من وجهة نظر عربية او اسلامية ومدى قبول الافكار الغربية وانسجامها وفقا للمنظور والثقافة العربية.

رابعا : ثقافة قبول الاخر في الابحاث الانثروبولوجية

تقوم العلاقة بالاخر على مفاهيم وقيم وتقاليد وضوابط اجتماعية نابعة من ثقافة المجتمع حددت في ضوئها صورة الاخر وطبيعة العلاقة به والمرتبطة انثروبولوجيا بأشكال التفكير المختلفة من دين وسحر وغيبيات وطقوس دونتها الرحلات الانثروبولوجية لاستكشاف وفهم ثقافات المجتمعات البدائية ،فالرؤية الانثروبولوجية لجيمس فريزر حددت بمجموعة من القواعد الدقيقة الغاية منها حماية الروح الشخصية والهدف منها وضع محرمات مثلا تحمي الملك من مصادر الخطر وسيلتهم في ذلك العزلة شبه الكاملة بحسب صرامة القواعد المتبعة ،ويمثل السحر هاجسا كبيرا لدى البدائي سيما من الغرباء خوفا من الغدر أو من المرض أو السحر الاسود الذي قد يحملوه معهم واستباقا لهذا الشك القادم من الاخر الغريب واحتراسا يخضع هذا الغريب الى طقوس معينة نزعا لسلاح السحر وابطالا لتأثيره وتطهيرا منه قبل الدخول الى منطقتهم واختلاطه الحر بالسكان كطقوس سكان جزيرة نانوميا (في جنوب افريقيا) ، ويجد فريزر ان الخوف من الغرباء اكثر من رغبة التشرف بهم وهو الدافع وراء الطقوس المقامة قبيل دخوله للقرية ، وعادة ما يكون الخوف من الغرباء متبادلا فيشعر الغريب من الشياطين والفنون السحرية التي يمارسها الاهالي ما يدفعهم الى تأدية طقوسا يحولون الارض من مقدسة الى عادية ،فكان الحذر والحيطة من الغريب كفيلا باجراء طقوس وقواعد محددة تجنب الطرفين من الاعمال العدوانية المحتملة[29]، فيما اشار ليفي بريل الى ان القبائل لاسيما الجزرية منها تعيش في عالم مغلق من جميع الجهات لا تعرف كل منها الا نفسها وجيرانها الاقربين وجدوا في هؤلاء الناس كائنات لم يروها من قبل تشبههم غير انها تختلف عنهم في اللون واللغة والاسلحة ،انهم قادمون حسب اساطيرهم وخرافاتهم من السماء او العالم الخفي لذا توجسوا منهم بنوع من الفزع الديني ومن كل ما احضروه معهم ، ولم يختلف الحال لدى الهنود وقبائل الاسكيمو الذين اعتقدوا في الاخر الاوربي كائنات مما فوق الطبيعة يمتلكون معجزات غريبة ، فيما كانت القبائل في الكونغو تجد في الاوربي مصدرا للفزع والتشاؤم والقلق بشكل عام خوفا من ضروب الكوارث والموت القادم اليهم مع وصول نبأ وجود البيض بينهم ،فيما اعتقد سكان قبائل الدياك في برنيو والبيض الاوربيون انهم قادمون من القمر حيث مكان اقرب منهم الى السماء.[30]

مثلت الرحلات الى الشرق والجغرافية مصدر انثروبولوجيا ساعد على تكوين رؤية اجتماعية وانسانية تجاه الاخر ، فمع ان رحالات فاسكودا جاما وكولومبس وماجلان كانت ذات طابعا اكتشافيا وجغرافيا ولكنها عملت على تكوين رؤية انسانية جديدة ساعدت على اكتشاف الاخر المختلف فقد اشار جوزيف جرينيرج الى ان اكتشاف هذه الشعوب اثار تساؤلات كثيرة منها هل يمكن ان يتعامل الغرب مع هذه

الشعوب بوصفها تنتمي الى نفس الجنس او النوع الانسان الغربي أم لا، فكانت الاجابات في معظمها تدعم حفاظ على ارواح هذه الجماعات والتسامح معهم والعمل على تبشيرهم وتحويلهم من الوثنية الى الايمان[31]، وهو ما ساعد فيما بعد على ظهور النزعة الانسانية في التعامل مع الاخر، وشكلت رحلة البريطاني وولفريدنسيجر في كتابه رمال العرب وصفا تفصيليا للشرق وعادات وتقليد العرب مركزا على ما يمكن ان يطلق عليه قيم التسامح والانسجام واكرام الضيف من حيث معايشته للقبائل العربية لمدة خمسة سنوات موضحا قضية الانسجام والتماسك الاجتماعي والعناية بصلة الرحم واحترامها [32] فكان وصفا لثقافة اخرى مغايرة لثقافات الشرق ، وهو ما يدعم تاقلمالانثربولوجي نيبور وانسجامه على العيش في الصحراء كعاملا مهما لكسب ثقة وفهم منطق اسلوب الحياة عند العرب فوجدهم شعب يتمتع بالطيبة وحسن الضيفة [33]، فكان هذه الاكتشاف لقيم التسامح والانسجام لها ما يقابلها من قيم لاحترام الاخر الغريب .

فشكلت هذه الدراسات مصدرا هاما للمعلومات الوصفية للمجتمعات البدائية خلال القرن التاسع عشر، ويذكر احمد ابو زيد في ضوء ذلك ان هنالك من الرحالة من اتصف بالجدية والاحكام الدقيقة والبعد عن المغالاة امثال (آندروباتل و جيروم لوبو) فقارنوا بين ثقافات الشعوب البدائية والحضارات القديمة فضلا عن وصفهم لواقع حياتهم الاجتماعية ، ويذكر بورييه و ايفانز بريتشارد ان الاثنولوجيا في القرن(19) تقدمت بارتباطها بين مايصل اليه المفكرون والفلاسفة من نظريات وبين مايقدمه الرحالة من معلومات[34]

ووجد علماء الانثروبولوجيا ان معظم الشعوب البدائية تقيم علاقات قرابة لا تقوم بالضرورة على النسب بل قائمة على هوية اخلاقية قائمة على تبادل الحب ، او المساعدة المتبادلة و التضامن القائمة على مبادئ مثل القرب المكاني او التاريخ او حقوق الملكية المشتركة ، او تبادل الهبات ، والذكريات المشتركة كوسائل لإقامة علاقات مع الاخر متبادلة ، ولاحظت MarilnStrathern في غينيا ان كيان الاخر هو الشرط الداخلي لنشاط كل شخص فهو ليس مسألة استبدال للذات بل اعتراف وضبط للعلاقات الاجتماعية وان الجسد لديهم هو جسدا اجتماعيا يتطابق فيه مع الاخر والاهتمام به والمسؤولية اتجاهه وبشكل متبادل [35]،ورغم ان المجتمعات البدائية اعتمدت في حياتها على الاكتفاء الذاتي في اقتصادها الا ان الارث الانثروبولوجي اشار الى انها كانت تعتمد على التبادل مع الجماعات الاخرى بنظام قائم على المقايضة وتبادل الهداية لسد معظم حاجياتها واشار مارسيل موس من خلال معايشته للقبائل ولنظامها في التبادل والتزاماته بتفسيرها (العطاء ،القبول، ورد العطاء) وتصاحب عملية التبادل هذه الطقوس والشعائر الهادفة الى حفظ الحقوق لكل الاطراف لذلك كان الاستقرار الاجتماعي ودعم اواصر العلاقات بين القبائل ومن وجهة نظر موس ان الافراد يشتركون بفعل ذلك الى القوانين الاخلاقية الداعمة للجماعة ولعلاقتها بالجماعات الاخرى [36]،ويرى مالينوفسكي ان الافراد في قبائل الكولا يعتبرون التهادي تأكيدا ودعما للالتزامات الاجتماعية مع الشركاء في الجزر الاخرى فيعتبرهم حلفاء متوقعا منهم الحماية فهم مكسبا اجتماعيا وما يمكن ان يحققه ذلك من تلبية للحاجات النفسية والاجتماعية نتيجة لهذه التوقعات التي يتضمنها التبادل [37]، بينما وصف مونتسكيو سكان سواحل افريقيا بانها وحشية بربرية وبدائية [38]وهي جميعا اوصافا عنصرية للاخر ،فقد وصف غوبينو

الاعراق غير الاوربية (السود ، الصفر ،السمر) بقليلي الابداع والتطور غلى خلاف البيض ، وهذه التسميات والاوصاف تحمل بين معانيها اشكال الاحتقار والدونية للشعوب المختلفة الاخرى ، وهذه التصورات خالفتها تأكيدات كلود ليفي شترواس عندما وصف هذه المجتمعات بأنه " لاوجود لشعوب طفلة وان سكان استراليا الاصليين الذين يبدون لنا في غاية البساطة والبدائية ، انما يتمتعون بتنظيم عالي شديد التعقيد بحيث يستطيع المرء ان يضيف ، ان تنظيمنا العائلي يصبح بادائه بسيطا للغاية "[39]، وعلى الرغم من الرؤية المركزية الغربية للاخر المختلف الا ان بعض الانثربولوجيين الذي زاروا هذه الشعوب التي اطلق عليها الغرب البدائيين قد وجدوها شعوبا تتمتع بقيم واخلاق تحترم الاخر ولديها قدرة وانضباط اجتماعي عالي ولاسيما في التعامل مع الاخر ، اذ انهم لم ينظروا الى الاخر بوصفه شخصا او فردا عاديا انما كان الاخر بالنسبة لهم غريبا او شيء غامض في بعض الاحيان ربما يكون شرا او ربما يكون خيرا وهي كلها ترتبط بقيم اجتماعية وثقافية ودينية تنطوي على مفهوم المجتمع المنغلق .

3. الخاتمة:

النتائج

وخلص هذا البحث عموما إلى:

- إن الرحالات والدراسات الانثروبولوجية مثلت مختبرا ثقافيا ، واجتماعيا، وانسانيا يضفي ابعادا معرفية ، وتعليمية ساعدت في اكتشاف التنظيمات الاجتماعية وكيفية تقبلها الاخر او رفضها له وعدم تقبله .

- ان الموجه العقائدي والديني والسحري كان محددا مهما لقياس السلوكيات المقبولة والمرفوضة لوجود الاخر الغريب فيما بينهم .

. جسدت المعلومات والملاحظات التي سجلت من قبل الرحالة والمختصين سجلا عمليا للمقارنة ما بين الأنا والآخر ، مكونة رؤية شاملة تداخلت فيها كل تفاصيل حياة الشعوب التي تم زيارتها ومشاهدتها من قبلهم .

. خضع الانسجام والتعايش والتماسك لدى هذه الشعوب وفقا لمتطلبات الحاجات الاجتماعية .

. لم يكن قبول الاخر خاضعا لمعايير اجتماعية واحدة انما كان لكل مجتمع طريقته في التعامل مع الاخر .

. ان الاعتراف بالآخر والتعايش والتعرف على الشعوب الاخرى يمكن ان يعد اسلوب او منهج معرفي يمكن ان يساعد في اغناء الابحاث الاجتماعية والتعرف عن طريق التجربة على ردود افعال الشعوب الاخرى حول تحديد وبناء علاقتها باخلا المختلف والمتنوع.

. جسدت معظم اراء الانثربولوجيون نماذج جاهزة لرؤية تنهض على ما قدمه المنهج التطوري لدارون الذي ذهب الى ان بداية الانسان البدائي تنطلق من افعال غريزية فطرية تقدم القوة على منطق العقل .

4. قائمة المراجع: طريقة :

1 . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، شرح طلال حرب(1992)، الجزء4، دار الكتب العالمية ،بيروت ،،

2 . احمد زغب (2012)،مبادئ الانثروبولوجيا ، ط1،مؤسسة صخري ،مصر الانترنت ، 2022/1/14، https://www.alukah.net ،،

3 . اندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل(2001) ،ج1 ، ط2، منشورات عويدات، باريس،.

4 . بشير خلف ، مبادئ الانثرولوجيا ، علم الانسان ، الانترنت ، 1،2022/14، https://www.ahewar.org/.

5 . توماس هيلانداريكسن و فين سيفرت نيلسن،(2014) تاريخ الانثروبولوجيا،ترجمة عبده الريس ،ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2014،

6 . جاك لومبار ، مدخل الى الاثنولوجيا ،ترجمة حسن قبيسي(1997)، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،،.

7 . جاكلين بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، ترجمة قدري قلعجي ، منشورات الفاخرية، بدون تاريخ،

8 . جوان اسماعيل بكر ،(2013)جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول الاجتماعيين ، ط1،دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، ،.

9 . جيمس جورج فريزر ،(2014)الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ، ترجمة نايف الخوص ،،ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ،، .

10 . حسين محمد فهيم(1989)،ادب الرحلات،عالمالمعرفة،مطابع الرسالة ، الكويت ،،.

11 . د.عبد الباسط محمد حسن،(1985)اصول البحث الاجتماعي، 9، دار التضامن للطباعة ، القاهرة،،.

12 . دكتور احسان محمد الحسن،(1999)موسوعة علم الاجتماع،ط1،الدار العربية للموسوعات ،.

13 . دكتور عبدالمنعم حفني (2000)، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،ط3 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة،،

14 . دكتور محمد الجوهري و علياء شكري وآخرون (2007،)مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا ،القاهرة ،،

15 . ربيع كردي، (2011)البنائية الجديدة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا،ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع ،القاهرة،،

16 . السيرافي ، رحلة السيرافي ،تحقيق عبدالله الحبشي(1999)، المجمع الثقافي ،ابو ظبي ، الامارات العربية ، ، ،

17 . عاطف وصفي،(1977،.)الانثروبولوجيا الاجتماعية ،دار المعارف، مصر،

18 . عدنان احمد مسلم،(2001)،،.محاضرات في الانثروبولوجيا علم الانسان ،ط1، العبيكان للنشر والتوزيع ،الرياض،

19 . عزيز لزرق ومحمد الهلالي اعداد وترجمة ، الغير ، دفاتر فلسفية ،ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ،

20 . فاروق اسماعيل(1985)،الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية،مصر ،،.

21 ـ فتحية محمد احمد ابراهيم(2003،) ازمة الهوية الثقافية في عصر العولمة رؤية انثروبولوجة ، مجلة جامعة الملك سعود،مج15،العدد1، السعودية ،، .

22 ـ فهيم ، حسين محم ،(1989).ادب الرحلات ، عالم المعرفة، الكويت ،

23 ـ ليفي بريل،العقلية البدائية(2018)،ترجمة محمد القصاص،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،،.

24 ـ مارسيل موس(2011)، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة،ترجمةالمولودي الاحمر،ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،،.

25 ـ مارشال سالينز ،الطبيعة البشرية :نقد الوهم الغربي حيال الذات والاخر ،مجلة الاستغراب ، مجلة الاستغراب ، العدد10 ، السنة الرابعة 2018،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ،بيروت،

26 ـ مصطفى تيلوين ،(2011)مدخل عام في الانثروبولوجيا.ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر، .

27 ـ ولفريد نيسيجر(1961)، رمال العرب (1959) ، تعريب نجدة هاجر وابراهيم عبد الستار ، المكتب التجاري للطباعة والنشر،بيروت، .

28 ـ يحي مرسي عيد بدر ،(2007اصول علم الانسان الانثروبولوجيا ،ج1، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية ،،.

29 ـ **Dictionnaire de l'Académie Française, Tome premier, (A-K) cinquième Edition, Bossange et Masson, libraires, Paris, 1813, p, 104**

[1] - جوان اسماعيل بكر ، جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول الاجتماعيين ، ط1،دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن،2013 ،ص43

[2] - دكتور عبدالمنعم حفني ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،ط3 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة،2000، ، ص29.

[3] - اندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل،ج1 ، ط2، منشورات عويدات، باريس،2001،ص124.

[4] - **Dictionnaire de l'Académie Française, Tome premier, (A-K) cinquième Edition, Bossange et Masson, libraires, Paris, 1813, p, 104**

[5] -فاروق اسماعيل ،الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية،مصر ،1985،ص17.

[6] -دكتور محمد الجوهري و علياء شكري وآخرون ،مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا ،القاهرة ،2007،ص5

[7] - مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الانثروبولوجيا.ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر،2011 ،ص11

[8] -دكتور احسان محمد الحسن،موسوعة علم الاجتماع،ط1،الدار العربية للموسوعات ،1999، ص96.

[9] -توماس هيلانداريكسن و فين سيفرت نيلسن، تاريخ الانثروبولوجيا،ترجمة عبده الريس ،ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2014،ص72.

[10] -د.عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، 9، دار التضامن للطباعة ، القاهرة،1985،ص199

[11] - عزيز لزرق ومحمد الهلالي اعداد وترجمة ، الغير ، دفاتر فلسفية ،ط1،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، ص13.

[12] - الانترنت ، 2022/1/14، https://www.alukah.net

[13] - فتحية محمد احمد ابراهيم ، ازمة الهوية الثقافية في عصر العولمة رؤية انثروبولوجة ، مجلة جامعة الملك سعود،مج 15،العدد1، السعودية ،2003، ص20.

[14] - توماس هيلانداريكسن و فين سيفرت نيلسن ، مصدر سابق، ص14..

[15] - ليفي بريل،العقلية البدائية ،ترجمة محمد القصاص،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،2018،ص278-288.

[16] -جاك لومبار ، مدخل الى الاثنولوجيا ،ترجمة حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت،1997،ص41.

[17] - احمد زغب ،مبادئ الانثروبولوجيا ، ط1،مؤسسة صخري ،مصر ،2012،ص23.

[18] - توماس هيلانداريكسن و فين سيفرت نيلسن ، مصدر سابق، ص15.

[19] - الانثروبولوجيا الثقافية ، 22 .

[20] - عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الاجتماعية ،دار المعارف، مصر، 1977،ص11.

[21] - عدنان احمد مسلم ، محاضرات في الانثروبولوجيا علم الانسان ، ص60

[22] - المصدر نفسه ،ص78.

[23] - حسين محمد فهيم ،ادب الرحلات،عالمالمعرفة،مطابع الرسالة ، الكويت ،1989،ص15.

[24] - ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، شرح طلال حرب ، الجزء4، دار الكتب العالمية ،بيروت ،1992، ص134.

[25] - السيرافي ، رحلة السيرافي ،تحقيق عبدالله الحبشي ، المجمع الثقافي ،ابو ظبي ، الامارات العربية ، 1999، ،ص45.

[26] - بشير خلف ، مبادئ الانثرولوجيا ، علم الانسان ، الانترنت ، 1،2022/14، **https://www.ahewar.org**/.

[27] - عدنان احمد مسلم، محاضرات في الانثروبولوجيا علم الانسان ،ط1، العبيكان للنشر والتوزيع ،الرياض،2001،،ص67.

[28] - بشير خلف ، قراءة في كتاب مبادئ الانثروبولوجيا ، الحوار المتمدن ، الانترنت ، **https://www.ahewar.org**)

[29] -جيمس جورج فريزر ، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ، ترجمة نايف الخوص ،،ط 1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ،2014، ص265-269.

[30] - ليفي بريل / مصدر سابق ،ص382-389.

[31] - فهيم ، حسين محم ، ادب الرحلات ، عالم المعرفة، الكويت ، 1989 : 33 .

[32] - ولفريد نيسيجر ، رمال العرب (1959) ، تعريب نجدة هاجر وابراهيم عبد الستار ، المكتب التجاري للطباعة والنشر،بيروت، 1961 ،ص 23.

[33] - جاكلين بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، ترجمة قدري قلعجي ، منشورات الفاخرية، بدون تاريخ،ص 146

[34] - عدنان احمد مسلم ،مصدر سابق،ص89.

[35] -مارشال سالينز ،الطبيعة البشرية :نقد الوهم الغربي حيال الذات والاخر ،مجلة الاستغراب ، مجلة الاستغراب ، العدد 10 ، السنة الرابعة ،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ،بيروت، 2018،ص77.

[36] - مارسيل موس، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة،ترجمةالمولودي الاحمر،ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2011،ص10-11.

[37] - ربيع كردي، البنائية الجديدة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا،ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع ،القاهرة،2011،ص20.

[38] -جاك لومبار ، مدخل الى الاثنولوجيا ،ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،1997،ص41.

[39] - يحي مرسي عيد بدر ، اصول علم الانسان الانثروبولوجيا ،ج1، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية ،2007،ص224-226.